.2

التكريس

إن بداية التفكير اللاهوتي بشأن الحياة المُكَرسة قد بدأ مع المجمع الفاتيكاني الثاني وكان أهم مظاهر هذا اللاهوت بالطبع علاقة الحياة المُكَرسة بالفئات الأخرى في الكنيسة مثل الإكليروس والعلمانيين. فمع تنامي مظاهر الديمقراطية في كثير من بلاد العالم وتعاظم الشعور بالمساواة بين أفراد المجتمع الواحد نشأ تيار عام في الكنيسة بضرورة تحقيق هذه المساواة داخل الكنيسة، فلا معنى لتمييز فئة عن فئة، سواء كان تمييزًا متعلقًا بالسلطة المعطاة للإكليروس أو القيم الإنجيلية المرتبطة بالمُكَرسين عن فئة العلمانيين. هكذا ظهرت أهمية تحديد العلاقة بين فئات الكنيسة المختلفة.

سبق للمجمع الفاتيكاني، في دستوره "نور الأمم" تصنيف الكنيسة في فئات ثلاث: الاكليروس والرهبان والعلمانيون. كان معيار التصنيف هو نوع الحياة التي يعيشها هؤلاء، نمط العيش الذي تنتهجه كل فئة. بالنظر إلى الحالة المُكَرسة فهي حالة إقتداء بالمسيح بصورة كاملة عن طريق الالتزام بالمشورات الإنجيلية: العفة والطاعة والفقر. غير إنها لا تبدو مميزة عن الحياة المسيحية العلمانية في شيء، بل إنها تسير في ذات الخط وتكمله، لا بل إنها تتأصل في الحياة المسيحية فتنميها وتكملها. ويؤكد العدد 44 من "نور الأمم" ان الحالة المُكَرسة هذه تقود المُكَرس إلى جنى ثمار أوفر من نعم العماد. فيبقي العماد سر الحياة المُكَرسة الدائم. ويؤكد قرار "المحبة الكاملة" في العدد الخامس، ان الحياة المُكَرسة تظل تعبيرًا وشرحًا أكمل للتكريس العمادي، فهي متأصلة فيه (ن. أ: 44).

إن الاختلاف بين الحياة المسيحية العادية والحياة المُكَرسة يكمن في الالزام بتجاوز الوصايا، فيجعل من الحياة المُكَرسة صيغة حياة فريدة، حالة خاصة، فيقبل المُكَرس برضى لما هو غير الزامي كالمشورات الإنجيلية يقربه أكثر إلى نمط العيش الذي اختاره يسوع واتبعته العذراء أمه. فكلا الحياتين ينبثقان عن العماد الواحد، ويهدفان سويًا إلى كمال المحبة الواحدة ويرجع الاختلاف بينهما إلى الطرق والوسائل التي تُتخذ لبلوغ هذا الهدف الواحد. وتعد المشورات الإنجيلية وسيلة ذات فاعلية هائلة قادرة على رفع مستوى الحياة وتُبدلها بأخرى.

نخلص في القول بأن الحياة المُكَرسة ليست سرًا ثامنًا في الكنيسة. هي فقط حياة مسيحية سامية، تقوم على فهم سري المعمودية والتثبيت فهمًا عميقًا، وتقييم الافخارستيا تقييمًا حقيقيًا، وتؤكد الإيمان وتوطده قولاً وفعلاً. هي سعى متواصل إلى الكمال، ومحاولة لجعل نمط حياة يسوع حاضرًا دومًا. الهدف النهائي للتكريس هو اتباع المسيح والعيش في حياة مطابقة لحياته، أي يصبح المُكَرس ابن في الابن المتجسد ويرتبط مع الآب في علاقة بنوة شبيهة بعلاقة المسيح مع أبيه السماوي.

ما هي الفئة المناسبة لتصنيف الحياة المُكَرسة؟

بعد المجمع الفاتيكاني الثاني ظهرت عدة تصنيفات للمكرسين، أهمها ما يعكس علاقة المُكَرسين مع الثالوث الأقدس، كما سبق الاشارة: علاقة محبة خاصة مع الله الأب (التكريس)؛ علاقة محبة خاصة مع الابن (الإتباع)؛ علاقة محبة خاصة مع الروح القدس (الكاريزما). ظهرَ التنصيف الأول للحياة المُكَرسة كإتباع للمسيح بفضل متخصصو الكتاب المقدس في فترة السيتينات. أما لاهوتي السبعينات فلقد نظروا للحياة المكرسة في إطارها العام من حيث إنها عطية مجانية من الروح القدس وبالتالي فهي كاريزما لأن الفضل فيها يعود إلى نعمة الروح القدس ولس لمجهود المكرس في حد ذاته. في حين تمسك البعض الآخر بالوصف الوارد في دستور نور الأمم الذي حدد إن أهم ما يميز نمط الحياة الرهبانية هو كلمة "تكريس" والتي عن طريقها يُكرس الإنسان ذاته لشخص يسوع المسيح. رأينا ترتيب التصنيفات وفقًا لعلاقة الحياة المُكَرسة بالثالوث الأقدس: التكريس؛ الإتباع؛ الكاريزما

1.2. دعوة التكريس

أخذ بعد التكريس أهمية خاصة بعد المجمع الفاتيكاني الثاني عند وصف الحياة الرهبانية. فالقانون الكنسي يصف أنماط الحياة الرهبانية بـ "منظمات الحياة المُكَرسة"، فجميع الأنظمة الرهبانية تؤسس على فعل "التكريس" وفيه تجد معناها وهدفها النهائي: "الحياة الرهبانية هي طريقة حياة مشتركة وثابتة في إحدى المؤسسات التي تعتمدها الكنيسة، يتبع فيها المؤمنون عن كثب السيد المسيح المعلم ومثال القداسة بدافع من الروح القدس. فيكرسون أنفسهم بصفة جديدة وخاصة بنذور علنية، أي الطاعة والعفة والفقر" (ق. ش: 410). تعكس القوانين الكنسية إن التكريس هو العنصر الجوهري والأساسي الذي تستند إليه الحياة الرهبانية فهو يعكس هويتها ورسالتها في العالم.

فالحياة المُكَرسة تنشأ من دعوة جديدة وخاصة، تختلف عن التكريس العام بالمعمودية، وتتم بفعل عطية جديدة وخاصة من الروح القدس تُكرس الشخص لحياة جديدة.

إنَّ لِـ " التكريس" مفاهيمَ وأبعادًا متعّددة. نبدأُ بالمعنى اللغوي. كَّرَسَ تعني : خصَّصَ نفسَه لشخصٍ أو شيءٍ ما. وقفَ نفسَه لخدمةٍ معَّينة. فرزَ نفسَه عن عّامة الأشخاص والأشياء، أو تنازلَ عن حقوقٍ معَّينة، أو تخَّلى عما يقومُ به كل الناس لِـ "يُكَّرِسَ" نفسه لأمر خاص. وهذه المعاني تَسودُ في الحقل الزمني أو الديني على السواء. فالبعضُ يُكرسُ حياته لعلاج المرضى وغيرهم لتثقيف الأجيال الناشئة وغيرهم للفن ... وغيرهم للشؤون الروحية: كالتبشير والتعليم والعبادة و الرعاية والخدمة في دور العبادة أو الجماعة المسيحية...الخ (1كور12: 7-11؛ أف 4: 11-12). ولكن إستعمالَ التعبير واردٌ في الحقل الديني أكثر من الزمني، وبمعنى"استعمال وقتِه كله في خدمةِ الله"، والأمور الروحية.

تكريس شخص يعني فرزه وتخصصيه لأمور الرب. "يفصل" الشيء أو الشخص عن عالمه الطبيعي و"يخصص" للرب وحده. هناك معنيان في هذا الفرز والتخصيص، أحدهما سلبي والأخر ايجابي. يظهر المعنى الأول بوضوح بُعد الفصل والتجنيب الذي تم التعبير عنه في سفر الخروج (19: 9ي) فالجبل هو المكان الذي سينزل عليه الله فلا يجب أن يقترب أحدٌ منه، هو "مكرس" له، معزول عن سائر الشعب، إياكم أنْ تصعَدوا الجبَلَ أو تَمَسُّوا طرَفَهُ، فكُلُّ مَنْ مَسَ الجبلَ". لكن وحده موسى الذي فصله الله عن الشعب "خصصه له" يمكن أن يصعد الجبل، وهذا هو المعنى الثاني.

ليس هناك شيء قادر على الاقتراب من الله دون أن "يتقدس"، أي ينتقل إلى حالة القداسة. وعندما يشير الكتاب المقدس إلى تكريس شيء ما، أو شخص ما، فإنه يعنى تقديسه، أي جعله مقدساً. فهناك فرق واضح بين ما "هو لله" وما هو "غير الله"، فكلِ شيء يقترب من الله يُصبح مقدساً، أي مكرساً له، وكلِ شيء بعيد عن الله وليس له علاقة به، فإن غير مقدس، أي "مدنساً". وكانت عملية "التكريس أو المسح" تتم بالزيت المقدس: " هذا يكونُ لي زيتًا مُقَدَّسًا لِلمَسْحِ مدَى أجيالِكُم" (خروج 30: 31). الشخص أو الشيء الذي يُدهن بهذا الدهن المقدّس يصير مقدسًا، مكرّسًا ومخصّصًا للرب، وكل ما يمسّه يصير مقدّسًا: "وَامْسَحْ مِنهُ خيمَةَ الإجتماعِ وتابوتَ الشَّهادَةِ، والمائِدَةَ وجميعَ أدواتِها، والمَنارَةَ وأدواتِها، ومذبَحَ البَخورِ، ومذبَحَ المُحرَقَةِ وجميعَ أدواتِهِ، والمَغسلَةَ وقاعِدَتَها. وتُكرِّسُ هذِهِ كُلَّها، فتكونُ مُقَدَّسَةً كُلَ التَّقديسِ. كُلُّ مَنْ مَسَّها يكونُ مُقَدَّسًا" (خر30/26-28).

فعندما يتراءى الله لموسى يقول له: «لا تقتَرِبْ إلى هُنا. إخلَعْ حِذاءكَ مِنْ رِجلَيكَ، لأنَّ المَوضِعَ الَّذي أنتَ واقِفٌ علَيهِ أرضٌ مُقَدَّسَةٌ». فالأرض التي يدوس عليها موسى لم تكن مقدسة قبل تراءي الله له. فحضور الله هو الذي يغير من حالة المكان ويضفي عليه قداسة من قداسته.

يشبه التكريس دائرة، يُمثل المحيط الخارجي، الواسع، كل الخليقة التي يمكن اعتبارها بصورة أو بأخرى "مقدسة" لأنها خرجت بنعمة الله الذي أعطاها الحياة من العدم من خلال فعل

الخلق. عندما خلق الإنسان: "وجبَلَ الرّبُّ الإلهُ آدَمَ تُرابًا مِنَ الأرضِ ونفَخ في أنْفِه نَسَمَةَ حياةٍ. فصارَ آدمُ نفْسًا حيَّةً" 02: 7). نسمة الحياة هي من الله ولا وجود للمخلوق دونها. يحمل كل مخلوق في ذاته صورة الله الخالق، لهذا فجميع البشر يحملون "قداسة" الله. وعندما سقط الإنسان الأول نتيجة معصيته، أصبحت دعوة الإنسان هي السعى للعودة إلى تلك العلاقة التي كانت تربطه بالله القدوس في الفردوس، والتخلص من حالة "الدنس"، أي الابتعاد عن الله، والدخول في حالة القداسة، أي العلاقة مع الله، الكلي القداسة.

الله فقط الذي "يُكرس"، لأنه وحده القادر على ادخال خليقة ما في عالمه الخاص، كاشفًا له عن شيء ما في ذاته (كمثل اظهار مجده لموسى الذي رأي فقط ظهره). مبادرة الله لا تنفي حرية الإنسان وعقله، الذي يوافق على مبادرة الله ويُسلم إرادته إلى الله. لهذا نجد فرق بين اللغة الكتابية المستخدمة في وصف هذه العلاقة، فعند الكلام عن الإنسان الذي يترك ذاته لله يعبر الوحي بأفعال مثل "يقبل" أو "يُسلم"، في حين يخصص فعل "كرس" لُيشير إلى فعال الله الذي يفرز شخص ما ويضع عليه ختمه. الله هو الخالق فهل تعترض الطين عن تصرف صانعه: "أيَقولُ الطِّينُ لجابِلِه: ماذا تصنَعُ؟" (اشعيا 45: 9)، " أما يَحِقُّ لِلخَزّافِ أنْ يَستَعْمِلَ طِينَهُ كما يَشاءُ، فيَصنَع مِنْ جَبلَةِ الطينِ نَفسِها إناءً لاَستعمالٍ شَريفٍ، وإناءً آخرَ لاَستعمالٍ دَنيءٍ (روميه 9: 21). لهذا هو يختار البعض "ليتبعوه". يختار شعبًا، مجموعة من الناس، ويختار أشخاص بعينم ليكونوا مدعوين بصورة خاصة وفريدة.

2.2. شعب الله المختار

فالاختيار "أو التكريس" الأول ليكون لصالح شعب معين، فيقع اختياره على إسرائيل دون شعوب الأرض: "فأنتُم شعبٌ مُقدَّسٌ للرّبِّ إلهِكُمُ الذي اَختارَكُم لَه مِنْ بَينِ جميعِ الشُّعوبِ التي على وجهِ الأرضِ" (تثنية 8: 6). اختيار الله لا يعني أن الله يحابي شعب ضد شعب، بل يختار شعب في سبيل الكل. ففي الفصل 12 من سفر التكوين وفيه نجد بداية فكرة الاختيار التي ستُرافق شعب إسرائيل طوال تاريخه من حيث هو شعب مختار، من خلال دعوة إبراهيم: "وقالَ الرَّبُّ لأَبْرام: اِنطَلِقْ مِن أَرضِكَ وعَشيرَتكَ وبَيتِ أَبيكَ، إِلى الأَرضِ الَّتي أُريكَ.وأنا أَجعَلُكَ أُمَّةً كَبيرة وأُبارِكُكَ وأُعظِّمُ اسمَكَ، وتَكُونُ بَرَكَة. وأُبارِكُ مُبارِكيكَ، وأَلعَنُ لاعِنيكَ وَيتَبَارَكُ بِكَ جَميعُ عَشائِرِ الأَرض" (تكوين 12: 1- 3).

في هذه الآيات نجد ملخّص[1] منطق الاختيار كلّه: فالاختيار مجّانيّ (لا فضل لإبراهيم سابق على دعوة الله له)، ولكنّه يتطلّب الإيمان، أي الثّقة بكلمة الله (كلّ حياة إبراهيم تقوم على الثقة

[1] داني يونس (الأب)، *شعب الله المختار، ايّ اختيار؟*

والإيمان، وهنا، في بداية مسيرته، يترك المعروف – أي أرضه وعشيرته وبيت أبيه – في سبيل المجهول: "الأرض الّتي أريك")، وهذا الاختيار هو في سبيل الكلّ ("تكون بركة"، "يتبارك بك جميع عشائر الأرض") ولكنّه يتطلّب صراعًا مزدوجًا ("ألعن لاعنيك" تشير إلى أنّ المختار يعاني من رفض الناس، لكنّ الله يكون معه، وهذا يتطلّب ثقة بالله، فالصراع المزدوج هو مع الناس ومع الله لأنّ المختار يسأل دومًا: هل الله معي أم لا؟ كما في خروج (17: 7).

خُلاصة هذه المرحلة: جواب الله على رفض الإنسان البركة الّتي يريد الربّ أن يباركه بها، هو أن يختار شخصًا (إبراهيم) ليقيم معه عهدًا يقبل بموجبه إبراهيم بركة الربّ مع ما تحمله من صراعات بسبب رفض الإنسان هذه البركة، ويصير المختار حاملاً البركة إلى الجميع، **فالمختار هو مختار في سبيل الكلّ**.

اختيار الله لإسرائيل يُعبر عن اختيار لشعب ليكون بركة لشعوب الأرض كلها. لا فرق بين اسرائيل والشعوب الأخرى، لقد أُختير **شعب لأجل الشعوب الأخرى** ولهذا عندما نقض اسرائيل العهد بينه وبين الله فإن الله كان يعاقب الشعب الاسرائيلي ويأخذ جانب شعبًا آخر، مثلما حدث من حماية الله لملك كورش البابلي، والذي اسماه "مسيح الرب" (أشعيا 45: 1). كذلك الجبعونيين الذين طلبوا، في عهد يشوع، معاهد سلام وعدم اعتداء مع اسرائيل، فخالف شاول المعاهدة وقتل منهم الكثيرين، فاحزن ذلك الله وعاقب الاسرائيليين بمجاعة، شعر معها في العام الثالث "داود " الملك الثاني على المملكة، ان هذه اشارة من الله على خطأ ما (1 صموئيل الثاني 21: 1- 4).

تضيق دائرة الاختيار لفرز جماعة قليلة من الناس، سبط لاوي، هارون وبنيه، لأجل خدمة مقدسة (خروج 28: 1). ونجد وصف لطقس التكريس في لاويين 8 الذي يفصل خدمة بيت لاوي عن باقي الشعب "العلماني". لأنه عندما نقض الشعب العهد مع الرب بصنع العجل الذهبي رجع اللاويون وحدهم من تلقاء أنفسهم إلى عبادة الرب (خر 32: 26-29: وعدد 3: 9 و11-13 و41 و45 وما يتبع و8: 16-18)، كانوا أقرب إلى التابوت من الشعب وكان من واجباتهم أن يحملوا خيمة الاجتماع إذا رحلوا وينصبوها إذا حلوا في مكان للإقامة فيه مدة من الزمن.

نصل في النهاية إلى قلب دائرة التكريس وهو التكريس الخاص لشخص واحد. فيختار الله شخصًا قبل أن يُولد: «قَبلَ أنْ أُصوّرَكَ في البَطْنِ اختَرتُكَ، وقَبلَ أنْ تَخرُج مِنَ الرَّحِمِ كَرَّستُكَ وجعَلتُكَ نبيًا للأُمَمِ» (إرميا 1: 5)، وهذا ما سيكرره بولس: "ولكِنَ الله بِنِعمَتِهِ اَختارَني وأنا في بَطنِ أُمّي فدَعاني إلى خِدمَتِهِ" (غلاطية 1: 15- 16)، ويظهر لهم بصورة خاصة ويُخصصهم لأجل خلاص الآخرين. على سبيل المثال: دعوة آبرام، دعوة موسى، دعوة بولس.

تشمل دائرة التكريس إذن المدعوون بصفة عامة، أي البشر أجمعين المشاركين في "قداسة" الله بفعل عمل الخلق، وأولئك المدعوون بصفة خاصة، من شعوب وقبائل وأفراد. كل هؤلاء هم

مُختارون لأجل الكل. يُكرس الله أشخاص لأجل خدمة الآخرين. "تجنيب" أو "فصل" شخص ما، أو قبيلة، أو شعب لأجل أن يكون خميرة تُخمر العجين كله. هكذا يُصبح آبرام بركة لجميع عشائر الأرض. ويُدعى موسى "محرر" شعب الله، ويُعد داود راعي جميع قبائل شعب إسرائيل، ويدعو يسوع التلاميذ لأجل أن يصبحوا "صيادي بشر".

3.2. رفض الاختيار أم تملكه؟

يواجه المُختار، فردًا أو جماعة، تجربتين كبيرتين: أن يرفض اختياره، أو أن يتملّك الاختيار فلا يعود مختارًا في سبيل الآخرين، ولا يعود بركة. وكلّ قصّة شعب إسرائيل وصولاً إلى المسيح تظهر هاتين التجربتين.

كثيرةٌ هي المواضع حيث يرفض المختار اختياره خوفًا من متطلّبات العهد مع الله. هذا الخوف يعود إمّا لصغر النفس (مثل عيسو الّذي باع بكريّته بأكلة عدس، راجع تكوين 25: 29 - 34 والرسالة إلى العبرانيّين 11: 16) وإمّا بسبب الاضطهاد، فمن أراد أن يخدم الله يجلب على ذاته رفض الناس ("تعييرات معيّريك وقعت عليّ" مزمور 69: 10، راجع الرسالة إلى أهل روما 15: 3) والّذي يتّقي الله يصير عُرضةً للغيرة (هكذا قتل قاين أخاه هابيل غيرةً منه، "لأنّ أعماله كانت شرّيرة وأعمال أخيه بارّة" كما في رسالة يوحنّا الأولى 3: 12، أو كما ورد في سفر الحكمة الفصل 2).

والكتاب يظهر بالعكس كيف أنّ الشعب المختار يظنّ أحيانًا أنّه مستحقّ اختياره، فيتملّكه ويزدري الآخرين. في الكتاب أمثلة كثيرة، مثل مَثَل الفرّيسيّ والعشّار في لوقا 18، وتعليم بولس عن الخلاص بالإيمان لا بالأعمال "لئلاّ يفتخر أحد بأعماله" (أفسس 2: 9) فيزدري الآخرين.

غلب يسوع هاتين التجربتين، فهو لم يتخلَّ عن اختيار الله إذ "أطاع حتّى الموت، موت الصليب"، ولكنّه بذلك "أخلى ذاته" مشاركًا البشر ببنوّته الإلهيّة (راجع فيليبّي 2: 6 - 11). يسوع هو المختار الحقيقيّ الّذي يحقّق غاية الاختيار: أن يبلغ بالبركة إلى كلّ البشر. لذلك يقول بولس: "تبارك الله أبو ربّنا يسوع المسيح فقد باركنا كلّ بركة روحيّة في السموات في المسيح" (أفسس 1: 3).

4.2. المسيح "المُكَرس والممسوح"

في المسيح تصل البركة إلى كلّ إنسان، فليس بعد من شعب مختار، بل **شعب من المختارين**، حاملين البركة إلى العالم.

فكلمة "مسيح" في اللغة العبرية هي " ماشيح . "Mashiakh من الفعل العبري "مشح" أي "مسح" وتُنطق بالآراميّة "ماشيحا" ويقابلها في اللغة العربيّة "مسيح" ومعناها، في العهد القديم، الممسوح "بالدهن المقدس"، ونقلت كلمة "ماشيح" إلى اللغة اليونانية كما هي ولكن بحروف يونانية "ميسياس . Messias " وعن اليونانيّة نقلت إلي اللغات الأوربيّة "ماسيا "Messia . فالمسيح هو المُكَرس والممسوح وفيه ومن خلاله يتم تكريس جميع الناس ومنذ لحظة تجسده في ملء الزمان لا يمكن أن يصبح شخصًا محلاً للتكريس دون أن يُشارك في تكريسه هو. " كُلُّ شيءٍ لكُم، وأمَّا أنتُم فلِلمَسيحِ، والمَسيحُ لله" (1 كورنثوس 3: 22- 23). "ذلك الذي قَدَّسَهُ الآبُ وأرسَلَهُ إلى العالَمِ" (يوحنا 10: 36). هو وحده الوسيط بين الله والناس: "الذي يُريدُ أنْ يَخلُصَ جميعُ الناسِ ويَبلُغوا إلى مَعرِفَةِ الحَقِّ، لأنَّ الله واحدٌ، والوَسيط بينَ الله والناسِ واحدٌ هوَ المَسيحُ يَسوعُ الإنسانُ" (1 تيموثاوس 2: 4- 5)؛ "لا خلاصَ إلاّ بيَسوعَ، فما مِن اَسمٍ آخَرَ تَحتَ السَّماءِ وهَبَهُ الله لِلناسِ نَقدِرُ بِه أنْ نَخلُصَ" (أعمال 4: 12).

عاش يسوع مختبئًا في الناصرة في حياة طبيعة تمامًا، يعمل ويجتهد ككل البشر، مرتبط بعلاقات اجتماعية، كسائر الناس، مع عائلته وأصدقائه وبنى بلدته. تغير كل شيء تمامًا بعد أن دخل مجمع الناصرة وقرأ نص أشعيا النبي (أشعيا 61: 1-2): روحُ السَّيِّدِ الرّبِّ عليَ، لأنَّ الرّبَّ مسَحني لهُ. أرسَلَني لأُبشِّرَ المَساكينَ وأجبُرَ المُنكسِريّ القلوبِ، لأُناديَ لِلمَسبيّينَ بالحُرِّيَّةِ ولِلمأسورينَ بتَخليَةِ سَبيلِهِم، وأُنادي بِحُلولِ سنَةِ رِضاهُ، إنتقامِ إلَهِنا مِنْ أعدائِهِ".

نص أشعيا المستخدم من قبل يسوع يظهر ثلاث عناصر أساسية مترابطة معاً برباط وثيق وهى : الروح القدس، التكريس، الرسالة، فالتكريس يكون بمبادرةمن الروح القدس ويهدف إلى إتمام رسالة محددة.

قبل أن نصب الأهتمام على حدث دخول يسوع مجمع الناصرة يجب أن نأخذ فى الأعتبار حدثي العماد (لو3/21-22) وتجارب يسوع فى البرية (لو4/1-13) لان جميع هذه الأحداث تشكل نسيجاً واحداً متكاملاً، فى الأحداث الثلاثة يركز لوقا الأنجيلى على الرباط الذى يجمع ويوحد الروح القدس بشخص يسوع المسيح وأن رسالة يسوع العلانية لإعلان مجئ ملكوت السموات فى شخصه، تنبثق من هذا الإتحاد بين يسوع والروح، فعندما يروى حدث العماد يستخدم أداة الربط epi والتى لا تعكس فقط التقارب بين شيئين، وإنما *التوحد التام*، **فالروح هو فى يسوع إلى درجه ملء قامته وكيانه**، فى حدث التجربة يكتب لوقا " **ممتلئ من الروح** "، "**قادة الروح إلى البرية**" مما يعنى أن *يسوع يتحرك فى نطاق حيز الروح ومن خلاله*. الرباط بين يسوع والروح يوجه إلى إتمام رسالة محددة ويحدد هوية يسوع الذاتية وعلاقته مع الله، فهو الإبن الوحيد والحبيب لله والذى يسر به (22/3) هو إبن الله ولذلك فهو ليس فى حاجه إلى إستدعاء قوة خارقة لإثبات ذلك عن طريق تحويل الحجارة إلى خبز أو يلقى بنفسه من شرفة الهيكل لتحمل الملائكة، هو

المُكَرس من الروح (18/4) والمرسل لأجل حمل بشرى الخلاص للفقراء والمأسورين .

والعودة إلى الآية 18 من الإصحاح الرابع لإنجيل القديس لوقا تكشف لنا بسهولة إن كل تكريس تنبثق منه رسالة محددة، الرسالة هى إذن التى تأخذ شكلها وطبيعتها ومضمونها من التكريس لله وليس العكس، ففى العهد القديم الله وحده هو القدوس ولذلك فهو يقدس ويمسح بعض الفئات من الشعب لأجل خدمة رسالة معينة : الكهنة واللاويون لخدمة الهيكل، والملوك لرعاية الشعب، والأنبياء لخدمة كلمة الله، وأما العهد الجديد وخاصة لوقا، فإن التكريس لا يكون لأجل رسالة محددة أو لأجل خدمة معينة حتى لو كانت مقدسة، إنما تنبثق الرسالة هذه نتيجة إتحاد الروح مع الشخص الممسوح.

التكريس يعنى الحضور والتبعية "إن روح الرب على" وليس رسالة محددة يناط بالشخص القيام بها، ذات الشخص هى المعنية بالتكريس وليس ما يمكن ان يقوم به او يفعله، التكريس نعمة مجانية تمنح للشخص عن طريق حلول الروح عليه والشخص لديه الحرية الكاملة فى التجاوب مه هذه النعمة أو رفضها كلياً.

الأساس فى التكريس، كما نفهم من نصوص لوقا، ليس فى إن الإنسان هو الذى يقوم بالفعل عن طريق تخصيص وتكريس ذاته لأجل القيام برسالة محددة، أى ليس هو الذى يكرس ذاته لله، بل الله الذى يقدم ذاته للإنسان، والرسالة التى يمكن للإنسان القيام بها تجاوباً مع عطية الله المجانية تعنى أن يصبح علامة على حضور وتدخل الله فى حياته وتبعيته له، فالممسوح من الروح القدس المدعو من قبل الله ليكون علامة على عطية التكريس المجانية الممنوحة له،يكون علامة على حضور الله وسط الفقراء والخطأة، أن يعلن ثقته التامة فى قوة المحبة التى تغلب الخطيئة والموت، أن يعلن تبعيته لله فيتصرف كما يتصرف هو ويفكر مثلما يفكر هو، وذلك هى الرسالة التى على المُكَرس تبليغها

هذا هو ما فعله يسوع، عاش يسوع تكريسه ـ أى تبعتيه الكاملة لله وفى ذات الوقت تكريس وقته وجهده فى سبيل تبليغ الرسالة التى حملها له الله فأصبح بجملته عنواناً للظهور الحقيقى والملموس لله وسط شعبه، فعندما قبل العشارين والخطأة إليه لم يرغب فقط القيام بعمل محبة تجاة هؤلاء التعساء، بل ليظهر حقيقة الله، كأب .أب يقبل إبنه الخاطئ عند عودته إليه (لو15). أب ينحنى ليغسل أرجل تلاميذه، أب تتحرك أحشاؤه فى سبيل أبناءه، أب يبحث عن إبنه الشارد وسط مراعى العالم وإهتماماته الكثيرة، أظهر يسوع فى تلك المواقف عمق أعماقه الله كأب وهذه هى رسالة الإنسان المُكَرس فى كل وقت.

5.2. برنامج الحياة كما قدمه يسوع

يكشف لوقا عند روايته لحدث دخول يسوع إلى مجمع الناصرة (لوقا 4: 14- 20) عن سر المخلص، ويقدم برنامج حياته العلنية. فصار هذا المقطع لكلِّ الذين يسمعونه، لا نداءً لاتباع المسيح فحسب، بل دستورًا من أجل حياة المكرسين من بعده. فلم يكتفي بذكر آيات أشعيا، بل يسبقها بمقدمة بليغة تكشف نواياه في أن يقدم برنامج عمل يسوع على الأرض ونمط حياته الذي اختاره لحياته.

عند مقاربة النص مع ما يوازيه في مرقس 6: 1- 2؛ أو متى 13: 54 نلاحظ أولاً أن لوقا لا يشير إلى التلاميذ الذين، حسب مرقص، يرافقون يسوع. فهذا الاغفال يوافق طريقة عرضه فهو يرجي اختيار التلاميذ بيد يسوع إلى بعد أن يرى التلاميذ الرب يعمل أولاً (4: 31- 44) فيمتزج خبر اختيارهم مع خبر الصيد العجيب (5: 1- 11). ثم إن لوقا يُحلّ محلّ العبارة التقليدية التي استعملها متى ومرقس، يُحلّ عبارة شخصية وأكثر وضوحًا. كتب مرقس ومتى "مضى إلى وطنه". قال لوقا "جاء إلى الناصرة"، معبرًا على إن إنطلاقة الحياة العلنية من المكان الذي نشأ فيه واستعد لرسالته المقبلة (2: 39- 40، 51- 52)، ففي هذه الزيارة تدشّن رسالته المسيحانية وتحدد البداية الفعلية لنشاطه العلني.

هكذا نفسر اهتمام لوقا بتدوين هذا المشهد الافتتاحي فيتوسع كثيرًا في الاستشهاد من النبي أشعيا، على عكس أسلوبه العام في الإنجيل ولاسيما وإنه لم يتحدث إلا بالتلميح عن "تعاليم يسوع في مجامع" الجليل (4: 15). وفقا للوقا فإن الاستشهاد الطويل من العهد القديم يكشف الوظيفة اللاهوتية لنص أشعيا (61: 1- 2) في بداية حياة يسوع العلنية.

حدد لوقا أول تدخل رسمي ليسوع في المجمع وفي إطار ليتورجية مجمعية. يسوع كباقي اليهود، أمين على حفظ الشريعة، لقد اعتاد يسوع، شأنه شأن أبناء أمَّته، أن يشارك في احتفالات السبت. نحن أمام ليتورجية مجمعية بحصر المعنى، تبدأ خدمة السبت بتلاوة "شماع" (أي اسمع، تث 6: 4- 9؛ 11: 13- 21) أي إعلان الإيمان بالإله الوحيد مع سلسلة من المباركات. وتمتد الخدمة بقراءة مقطع من أسفار الشريعة وقراءة أخرى من كتب الأنبياء وينتهي الاحتفال ببركة الكاهن.

كان يحق لكل رجل بالغ، لكونه عضوًا في الشعب المقدس، أن يشارك في هذه الخدمة الليتورجية التي يترأسها رئيس المجمع. وكان تنظيم خدمة القراءات بوقوف القارئ ليتلو في اللغة المقدسة، أي العبرية. ونظرًا لم يكن فهم هذه اللغة إلا بعض المتعلمين الكبار، لهذا كان هناك من يترجم إلى الآرامية ما يتم تلاوته. حافظ لوقا على هذا الترتيب بقوله: "قام ليقرأ- ثم طوى السفر- فدفع إليه السفر- ودفعه إلى الخادم- فلما نشر السفر- جلس.(

اهتم لوقا بصورة خاصة وأكثر من سائر الإنجيليين، بهذه السِمَة التي تميّز عمل الفادي الخلاصي. ولهذا يتوقف بإرادته نص أشعيا عندما "أعلن سنة نعمة الرب" وألغي ما تبقي أي "يوم انتقام إلهنا"، مشيرًا بهذا إلى نظرة لوقا التي تتصف بالشمول فيما يخص الخلاص. فلوا قرأ يسوع النص كله لدفع إلى أن يعلن مع النبي عن "يوم انتقام" من الوثنيين وحكما عليهم بالهلاك. رغبة لوقا تكشف إيمانه بأن الخلاص الذي يحمله يسوع يشمل البشرية كلها. وليس هذا النص الوحيد الذي يستبعد فيها لوقا نصوص تخصيصة من الأسفار المقدسة، ففي أع 2: 17- 21 يستبعد خاتمة نص نبوي ينتهي على الشكل التالي: "سيكون مخلصون على جبل صهيون وفي أورشليم (يوئيل 3: 5ب)."

إن نص أشعيا الذي سيطبقه يسوع على نفسه، فقد بدأ منذ الآن تأسيس ملكوت السموات على الأرض. قد سبق أن لخصها النبي أشعيا بقوله: "سنة نعمة من عند الرب". يُشير أشعيا إلى سنة اليوبيل الخمسيني (اللاويين 25: 8- 17) والتي فيها يتم إعلان تحرير عام لكل شكان البلاد. خرج يسوع من المجمع، وتفرغ تمامًا لإعلان بشرى الملكوت وتأكيد قدومه بالفعل والقول. طاف متجولاً يكرز ببشارة الملكوت (متى 9: 35)، وكانت الدعوة إلى الملكوت كانت هي محور تعاليمه التي جعلها هي رسالة تلاميذه أيضًا: وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين: إنه قد اقترب ملكوت السموات» (مت 10: 7). استحوذ إعلان ملكوت السموات على يسوع تمامًا إلى الدرجة التي نسى فيها أن يأكل أو يشرب، لم يعود إلى بيته أو عمله، ترك أمه وأقاربه. هذا ما أورده مرقس (3: 21- 22): " 20وجاءَ يَسوعُ إِلى البيتِ، فعادَ الناسُ إِلى الازدِحامِ، حتى تعَذَّرَ على يَسوعَ وتلاميذِه أنْ يأكُلوا. وسمِعَ أقرِباؤُهُ، فجاؤوا ليأخُذوهُ لأنَّ بعضَ الناسِ قالوا: «فقَدَ صوابَهُ». وأمَّا مُعَلِّمو الشَّريعَةِ الذينَ نَزَلوا مِنْ أورُشليمَ، فقالوا: «فيهِ بعلُزَبول، وهوَ بِرئيسِ الشَّياطينِ يَطرُدُ الشَّياطينَ.«

إن نبوءة الملكوت للنبى أشعيا صارت واقعًا ملموسًا مع تجسد الابن، فالملكوت هو حاضر الآن وهنا. قد بدأت الأزمنة الأخيرة التي دشنها رسميا مجيء يسوع إلى الناصرة الذي يشكل البداية للملكوت، حيث إنه هو الملكوت الذي بدأ هذا الملكوت بالفعل به هو وبمجيئه، حيث إنه هو الملكوت الذي بدأ ولن ينتهي إلى الأبد. إن تحرير الإنسان (المساكين والجياع والحزانى) هي إرادة الله التي تحاول أن تضع حدًّا لهذه الأوضاع اللا إنسانية، لكل هذا الشرّ الذي لا يُطاق والذي ينتصب أمام الله متحديًا عدالته الملوكية فيجعل ضحاياه من صغار القوم في شعبه. مجئ المسيح هو بالنسبة إليهم بُشرى هي بُشرى تحريرهم. هذا التحرير هو علامة للملكوت.

هكذا لا يكون ظهور يسوع في الناصرة حدثًا عاديًا، بل وعد تحرير وحياة لكل الذين يتعلقون به بالإيمان. نجد هنا ملخصًا لكل الإنجيل وُضع في بداية حياة يسوع العلنية، نجد فيه برنامج رسالته كما نجد دعوة ملحة ليحمل تلاميذه "المكرسون" فيه هذه البشرى إلى الخليقة كلها.

1.5.2. قبول الحب الإلهى يتواصل فى الرسالة

خبرة يسوع الروحية كما تظهر فى الأناجيل المقدسة، خاصة إنجيل القديس يوحنا، هى عطاء للذات، عطاء الذات هذا يجد مصدره فى عطاء الله الأب اللامحدود:" كما أحبنى الأب، فكذلك أحببتكم أنا أيضًا " (يو 9/15).

عطاء المسيح للذاته " فكذلك أحببتم أنا " لا ينبثق من أمر أصدره الأب ليسوع، لا ثمرة قرار شخصى من يسوع، ولكنه امتداد لحب سابق قد قبله يسوع اولاً " كما أحبنى الأب"، تواصل الحب هذا هو " القلب " الذى أوجد وأعطى شكلاً " لدعوة" يسوع .وكما أعطى شكلاً لدعوة تكريس يسوع فإن من خلاله أيضا ِيعطى شكلاً لكل دعوة تكريس لاحقة، فالرسالة ليست لها المكانة الأولى فى موضوع التكريس، بل " الحب الإلهى" الذى يقبله الإنسان، فهذا الحب يلد الرسالة ويحدد أهدافها، تواصل الحب الإلهى، عندما يقبله الإنسان، فيأخذ شكلاً فى صورة عطاء الذات للأخرين.

هناك بعدين أساسين يميزا حياة يسوع الروحية : الأول هو قبول محبة الأب والرغبة الشديدة فى العودة إلى حضنه، أما الثانى فهو عطاء الذات للإنسان والعالم، هذين البعدين مرتبطين بكلمة " كما" :(kathos)" كما أحبنى الأب، فكذلك أحببتكم أنا أيضًا" محبة يسوع للبشر ليست فقط نتيجة لمحبة الله له ولكنها إمتداد وتواصل لمحبة الله ذاتها له، عطاء يسوع ذاته للعالم لم يكن نتيجة لطاعته لله،لا لأنه كان يريد أن يعبر عن محبته للبشر، الأعزاء عند الله، لكنه كان مقتنعًا بأن عطاء الذات هو الطريقة الوحيدة ليظهر من هو الله الآب، عطاء الذات على خشبه الصليب هو قمة الوحى، محبة البشر بالنسبة ليسوع تعنى إظهار وجه الله الأب لهم . "قلب" دعوة يسوع هذا هو ما يميز كل دعوة لتكريس الذات يقبلها الإنسان.

عطاء الذات يعد تعبيرًا ملموسًا لعطاء الله ونعمته المجانية، يكون هذا العطاء بصورة شمولية، فالمسيح يعطى ذاته، حياته كلها وليس عمل, أو خدمة يقوم بها، شمولية العطاء هذه تظهر بصورة واضحة على الصليب، يكشف المسيح أن العطاء هو أيضًا غفران مجانى، فالمسيح يعطى حياته للذين لم يقبلوه، للذين رفضوه وعلقوه على خشبة الصليب، عطاء المسيح لا يخضع لمقاييس البشر أو لإحتياجاتهم وإنما لحب الله اللامتناهى للعالم وللإنسانية :" كما أحبنى الأب" فالذى يحدد عطاء المكرس إذن ليس إحتياجات الرسالة ووضع المجتمعات ولكن حب الله والذى يكشف ذاته عن طريقة إقتداء المكرس بمثل يسوع وإهتمامه بالأخرين.

2.5.2. التبعية لله هى غاية الرسالة

فى صدامه مع اليهود فى عيد تجديد الهيكل يقول يسوع عن نفسه : "أنا الذي قَدَّسَهُ الآبُ وأرسَلَهُ إلى العالَمِ" (يو10: 36) وبين الفعلين: قدس (Aghiazein) أرسل (Apostellein) رباط

وثيق، فما هو هذا الرباط؟

قدس تعنى أن المسيح يتبع الأب، متحد معه بصورة كاملة، حتى إنه يستطيع القول :"أنا والآبُ واحِدٌ" (يو 10: 30)، وأرسل هى بمثابة الأعلان عن هذا الأتحاد وتلك التبعية للعالم :" حتى تَعرِفوا وتُؤمِنوا أنَّ الآبَ فِيَّ وأنا في الآبِ" (يو 10: 38).

يحث يسوع أيضًا تلاميذه بهذين الفعلين ليوحد بينه وبينهم، بين تكريس الشخص ودعوة كل إنسان للتكريس: " كَرِّسْهُم بالحَقّ إنَّ كلِمَتَكَ حَقّ. كَمَا أَرسَلَتني إلى العالَم فكَذلِكَ أَنا أَرسَلتُهم إلى العالَم وأُكَرِّسُ نَفْسي مِن أَجلِهِم لِيَكونوا هم أَيضاً مُكَرَّسينَ بِالحَقّ. (يو17:17-19).

تكريس التلميذ هى عطية وهى إمتداد لتكريس المسيح "وأُكَرِّسُ نَفْسي مِن أَجلِهِم" قدس إذن هى كلمة يستخدمها يوحنا للدلالة على التبعية الكاملة لله فقط، وإشتراك التلميذ فى تكريس المسيح يمكنه من دخوله إلى العمق أعماق الثالوث الأقدس " فليكونوا واحدًا كما إنك فى، ياأبت، أنا فيك (...) أنا فيهم وأنت فى ليبلغوا كمال الوحدة " (يو 17/21-23).

فى صلاة يسوع الكهنوتية يتضح عمق التكريس، فالرباط القائم بين الأب والإبن يتواصل أيضًا فى تلاميذ المسيح (11/17) ويتواصل فى كل إنسان بتعاليمهم (17 /20-21) وأيضًا فى العالم (23/17) إن التكريس إذن يأتى من التبعية ليسوع المسيح والذى من خلاله يتحد الإنسان بالثالوث الأقدس.

أما الرسالة التى قام بها يسوع المسيح فهى تتلخص فى إنه جعل منظورًا ومتاحًا الاتحاد بالثالوث من خلاله وبالتالى فالرسالة ليست شيئًا يقدم، أو فعلاً ينفذ وإنما هى كينونة فى الثالوث وإتحاد معه.

3.5.2. النموذج الأوحد للمُكَرس

بتجسده شاركنا إبن الله يسوع المسيح فى طبيعتنا البشريه، إلا إنه لم يعيش بصورة كاملة كافة مظاهر وأشكال الطبيعة البشرية فقد كان "مضطرا" للإختيار، فأختار نمط حياة معين رأى أنه يعطيه حرية أكثر من غيره فى تنفيذ مخطط الله الخلاصى للبشرية، نمط حياة يمكنه من "تكريس" حياته كلها لتنفيذ مخطط الله هذا، فالمسيح لم يملك فكرة، أو رغبة أو هدف خاص به وإنما كان يستحوذ عليه تنفيذ إرادة أبيه وتأسيس ملكوت السموات.

ففى حياته الأرضية كان المسيح فى ذاته وفى كل ما يفعله وكل ما يرغب صورة حقيقية لله الأب، كان همه الأول وغناه الوحيد فى تنفيذ مشيئته، إلى الدرجة التى فيها يمكننا القول أن كل ما كان يفعله كان مطبوعًا بإرادة أبيه السماوى، كان مملوء من الثقة فى أبيه وإرادته إلى الدرجة التى إستطاع فيها أن يتخلى تمامًا عن إرادته الشخصية، نجح فى تسليمها طواعيًا لتتحد وتتعانق مع

إرادة أبيه.

أولوية الله هذه عاشها يسوع بطريقة ملموسة على الأرض، فقد كان مطيعًا وفى حالة تخلى مستمر عن كل مشروع شخصى فى سبيل تحقيق ما يطلبه الأب، وعبر بفقره الكامل على إعتماده الكلى على عناية أبيه السماوى، وإنعكست عفته فى هبة قلبه الكلية له بدون منازع، ولهذا تخلى عن رباطات الزواج وتكوين أسرة وإنجاب أبناء فى سبيل تحقيق إرادة أبيه، يمكننا القول إنه استحوذ عليه تأسيس ملكوت السموات وخلاص العالم إلى الدرجة التى لم تكن تسمح له فى التفكير فى شئ أخر.

المسيح إذن هو النموذج الأوحد للمكرس، ونمط حياته يعد الأساس الحقيقى للمشورات الإنجيلية، وهذا ما يؤكد المجمع الفاتيكانى الثانى بقوله : " لا تركز المشورات الإنجيلية على كلام المسيح وأمثلته، هى هبة إلهية قبلتها الكنيسة من ربها وتداوم بامانة على حفظها بنعمته" (ن.أ. عد.43) فالمسيح هو فقير يهوه الحقيقى الذى لا يملك شئ حتى لا يمتلكه شئ لأنه كليًا للأب، هو العفيف الكامل الذى يعيش ملء القران الروحى مع الله بإتحاده معه، هو المطيع الكامل لمشيئة أبيه.

الهبه الالهية التى قبلتها الكنيسة من ربها ليست إلا نمط حياته ذاته: "هكذا تصبح الحياة المكرسة تعبيرًا بليغًا عن الكنيسة الأولى التى يقودها الروح إلى أن تصور فى ذاتها ملامح العريس فتظهر أمامه سنية لا شائبة فيها، بل مقدسة بلا عيب" (ح.م. عد 19).

فالمسيح الفقير والمطيع والعفيف وهب كنيسته، عروسه، نمط حياته وعندما قبلته الكنيسة أعلنت بهذا على تواصل هذا النمط عبر تاريخها الطويل حتى وقتنا هذا.

المسيح اليوم حاضر فى كل إنسان مكرس لأن نمط حياته يتواصل فى المشورات الإنجيلية التى متى عاشها الشخص أصبح مسيحًا أخر، فالهدف الأساسى من معيشته المشورات الإنجيلية ليس فى إكتساب فضائل إلهية وإنما فى تواصل تجسد إبن الله وإستمرار نمط حياته الفريد فى حياة الكنيسة، " الروح هو الذى يكون ويصور روح المدعوين ويجددهم على صورة المسيح العفيف الفقير والمطيع، ويدفعهم إلى الإضطلاع برسالته، فإذا اهتدوا بهدى الروح للسير قدمًا فى طريق التنقية فسوف يصبحون يومًا بعد يوم أشخاصًا على صورة المسيح، ويواصلون، فى التاريخ، حضورًا مميزًا للرب الناهض من القبر" (ح.م.عد 19) فالمشورات الإنجيلية إذن تتيح للإنسان أن يقبل سر المسيح بطريقة مميزة (ح.م. عد 19)، فالمشورات الإنجيلية إذن تتيح للإنسان أن يقبل سر المسيح بطريقة مميزة (ح.م. عد 19) :" فأقتلعهم من رتابة حياتهم وأدخلهم فى ألفته " (ح.م. عد 16)، فيصور الإنسان بهذا صورة المسيح فى حياته ويعيش مثلما عاش منقذًا إرادة الله ومعطيًا أولوية لله فى كل حياته وأفعاله وأقواله.

4.5.2. المُكَرس "خادم الرب"

أشارنا إن التكريس هو مبادرة من الروح القدس الذي يتحد مع شخص المُكَرس ويعمل على تقديسه وتخصيصه لله فقط وينبثق من هذا الاتحاد بين المكرس والروح رسالة محددة. يختار الله ويخصص شخصًا له، لكن على الإنسان أن يقبل هذا الاختيار ويُقدم ذاته لله ليستخدمه لأجل خلاص الآخرين، لأجل أن يكون بركة للجميع " وَيتَبَارَكُ بِكَ جَميعُ عَشائِرِ الأَرض."

لهذا عُرف المُكَرس عبر تاريخ الكنيسة بـ "solus cum Solo" أي "المُخَصص لله وحد"، خادم الرب الذي تكون حياته ووقته هي فقط للرب. عبر القديس توما الأكويني عن عطاء الذات الكامل لله بقوله"totam suam vitam" ، وتبنى المجمع الفاتيكاني الثاني ذات الفكرة في العدد 44 من دستور نور الأمم: " يُلزم المؤمن المسيحي نفسه بممارسة المشورات الإنجيلية الثلاث المشار إليها بالنذور أو بالتزامات أخرى مقدسة تشبه النذور حسب شكلها الخاص، ويسلّم نفسه هكذا بالكليَّة إلى الله الذي يُحبه فوق كل شيء، فيصبح مُعدًا لخدمة الرب وإكرامه بصفة جديدة وخاصة. لقد أماته العِماد عن الخطيئة وكرّسه لله، ولكن كي يتمكن من أن يجني بأكثر وفرة ثمرة نعمة العماد يريد، بإعتناقه المشورات الإنجيلية في الكنيسة، أن يتحرر من أتعابٍ من شأنها أن تعيق تفتيشه عن محبةٍ حارة لله، وعبادة كاملة له، وتكريسه نفسه تكريسًا صحيحًا للخدمة الإلهية."

كذلك أكد قرار المحبة الكاملة في العدد 5 ذات تعاليم الأكويني الدالة على تقدمة الإنسان ذاته كلها إلى الله عند قبوله اختيار الله له بقوله: " ليتذكر أعضاء كل مؤسسة رهبانية أنهم، بادىء ذي بدء، قد إعتنقوا المشورات الإنجيلية إستجابة لدعوة ربانية حتى أنهم لم يموتوا فقط للخطيئة (راجع رومية6 / 11) ولكنهم زهدوا أيضًا بالدنيا ليحيوا لله وحده. فلقد نذروا حياتهم كلها لخدمته."

فالمُكرس يُسلم نفسه كاملاً إلى الله الذي يحبه فوق كل شيء فيخدمون الرب تنفيذًا لوصية الرب يسوع في لوقا 10: 25- 28؛ مرقس 12: 28- 31 بمحبة الله فوق كل شيء وصية الرب يسوع الجديدة هي المحبة الكلية والكاملة لله، محبة فريدة وبقلب غير منقسم "بكل القلب". ويُشكل حُب الله ركيزة الإنسان الأساسية وهدف الرئيسي في الحياة. ويشمل حُب الله كل أنواع الحب الأخرى فلا يتعارض مع محبة القريب بل يستمد الأخير قوته من حب الإنسان لله. لا يتعارض مع محبة الله شيء سوى انشغال القلب بعبادة آلهة غريبة (خروج 20: 1- 3). قبول التكريس إذن يستدعي من الشخص أن يوجه هدف حياته ووجوده إلى محبة الله. كمال الإنسان يرتكز في تسليم نفسه كليّا إلى الله ومحبته فوق كل شيء كما سبق أن حدد توما الأكويني .

تسليم الإنسان نفسه بالكلية إلى الله الذي يحبه فوق كل شيء يُعبر عنه من خلال محبة

القريب كالنفس. فمن محبة الله من كل النفس ومحبة القريب كالنفس: "تَقومُ الشَّريعةُ كُلُّها وتَعاليمُ الأنبياءِ". فمحبة الله يُعبر عنها من خلال عطاء الذات الكلي للآخرين. فمحبة الآخرين ليس محبة إضافية يلتزم بها المُكرس بل، وفقا لتعليم القديس توما الأكويني، هو مدعو أن يعيش البُعد الجماعي لعطاء الذات الكلي إلى الله ومحبته فوق كل شيء. فالمكرس هو مخصص لله وحده، يُسلم ذاته كليًا إليه ومن خلال هذا التسليم يعطي ذاته إلى الآخرين. يتحقق هذا من خلال نمط حياته البتول، من خلال نسكه أو حياته الجماعية.

تبنى المجمع الفاتيكاني هذا الفكر فيعلن في قراره "المحبة الكاملة" البند السادس: " على من يعتنقون المشورات الإنجيلية أن يفتشوا عن الله قبل كل شيء ويحبوه، فإنه أحبنا اولاً (راجع 1يوحنا 4: 10). ويجب عليهم أيضًا، ومهما كانت الظروف، أن ينشطوا في تعزيز الحياة المستترة مع المسيح في الله (راجع كولوسي 3: 2). من هذه الحياة، تنبع محبة القريب وتصبح ملحة، وذلك لخلاص العالم ولبنيان الكنيسة. وهذه المحبة بالذات هي التي تنعش أيضًا ممارسة المشورات الإنجيلية نفسها وتوجهها". فيعلم المجمع بأن الحياة المستترة في المسيح هي مصدر كافة النعم والفضائل والمواهب التي تبلغ ذروتها، في المحبة رباط الكمال (كولوسي 3: 14). وليس المشورات الإنجيلية سوى عطاء الذات الكامل لله المحبوب في ذاته، وتكريس لخدمته. فهي تحرر الإنسان من الموانع التي تصرف عن حرارة المحبة وكمال العبادة الإلهية. وتحرر الإنسان من تلك الموانع ينعكس تلقائيًا على خدمة الملكوت وخدمة الآخرين. فالحياة الروحية ضرورية للقيام بالعمل الرسولي، إذ لا تتكوَّن حياة رسولية حقَّة حتى يسبقها حياة روحية باطنية عميقة لتنعشها وتنيرها وتحييها وتجعلها أكثر فاعلية. ورأي المجمع واضح في هذا الشأن إذ يعلن: "إن محبة القريب لخلاص العالم ونبيان الكنيسة، لتفيض من الحياة المسترة في المسيح" (م. ك. 6).

5.5.2. أولوية الحياة الروحية في التكريس

a) المؤسسات الموجهة بكاملها نحو التأمل

يستغرق الله وحده تفكير هذه المؤسسات التي تقدم له في العزلة والصمت افضل ذبيحة حمد وأوفر ثمار قداسة (م. ك. 7). وتولي حياة الاتحاد بالله مع المسيح اهتمامها البالغ إلى حد إنها تنقطع إلى عبادته انقطاعًا كليًا تقريبًا، وتقدم هكذا: "المسيح للمؤمنين ولغير المؤمنين، المسيح على الجبل" (ن. أ. 46). وان لم تسمح ظروف حياة هذه المؤسسات: "بتقديم العون المباشر لمعاصريهم، إلا إنهم حاضرون حضورًا أعمق في احشاء المسيح، ويعاونهم معاونة روحية، حتى يقوم بنيان مدينة الأرض على أساس في الرب، وحتى يوجه إليه، فلا يتعب عبثًا القائمون على بنيانه" (ن. أ. 46). ان ثمار محبتهم الوافرة لتشكل ينبوع نعم سماوية لا ينضب معينه، وهي بالإضافة إلى ذلك تزين شعب الله وتجعله ينمو ويكبر بفضل خصبهم الرسولي الخفي (م. ك. 7).

ولذا لا يجوز ابعاد المؤسسات التأملية واعضاتها عن التأمل والقذف بها في النشاط الرسولي والخيري بحجة "العنصرة" التي أوصى بها المجمع، لأننا نكون آنئذ قد فصلناها عن منشئها وينبوعها، وقضينا عليها بالسير في طريق الاخفاق الذريع. وإنما يجب تعزيز الحياة الباطنية فيها أكثر فأكثر.

b) المؤسسات المُكَرسة للرسالة

تلتزم هذه المؤسسات بأعمال خيرية، ولكن في عصرنا المضطرب عليها الحذر من تجربة النشاط الخالي من كل حياة باطنية. أن اتصال الأعمال تلك بطبيعة الحياة الرسولية لا يعني الاستغراق في الأعمال الرسولية، واحتسابها العنصر المهم والأولي في حياتها، وإنما هو يشكل احدى عناصرها. لأن محبة الله تحتفظ أبدًا بأولويتها، وأن تكن محبة القريب تتصل بطبيعة محبة الله، إلا إنها لا تقوى على انتزاع أولوية محبة الله واحتلال مكانها. وبما إن الأولوية في الحب تبقي لله، وجب انعاش الأعمال الرسولية تلك بالروح الرهباني. فليس الدعوة إلى التكريس، سواء أكانت دعوة المؤسسات أم دعوة الأفراد، غير نداء إلهي بالتكريس، دعوة لاتحاد الروح القدس مع شخص المُكَرس، وخدمة المسيح في اعضائه، أو محبة القريب كالنفس هي محصلة هذا الاتحاد وناتج عنه .

إن النشاط الرسولي ليحتم الاتحاد الحميم بالمسيح، لأن بالاتحاد هذا فقط يضحى النشاط فعّالاً وخلاصيًا، شرط أن يتم في الروح القدس وحبًا بالآب. ونحب الله فعلاً إن احببنا إخوتنا. ولا نقوى على محبة الأخوة إن لم نحب أب الجميع الواحد أولاً، وابنه الوحيد يسوع المسيح، والروح القدس الذي يوحدالمحبة، في الله، الله والقريب. وانطلاقًا من هذه النظرة للأمور: "تصان المحبة عينها نحو الله ونحو القريب" (م. ك. 8).قد تبدو الرسالة مهمة وضرورية إلا إنها تبقي نتيجة (شيئًا إضافيًا)، وقد تندمج في جسم الرهبانية، وإنما يجب إلاّ يتم ذلك على حساب الحياة الروحية، فتتحوّل المؤسسات عن غاياتها وقوانيتها التي تعين العبادة الإلهية وتمجيد الله بالصلاة الليتورجية، الواجب الأساسي لها. يوصي المجمع بإيجاد التوازن والانسجام بين طريقة حياتها ومقتضيات الرسالة التي توافقها بحيث تحافظ بأمانة على نوع حياتها في سبيل خير الكنيسة الأعظم (م. ك. 9). لذلك يوصي المجمع بالحرص على الصلاة على مثال التلاميذ الذين كانوا يواظبون على الصلاة أولا وعلى خدمة الكلمة ثانيًا (أعمال 6: 4)، فالصلاة غذاءً ضروريا وواسطة ضرورية للتبرير الشخصي، وعنصرًا قويًا لفعالية الرسالة. هي واسطة فعالة في تحقيق ا لإتحاد بالمسيح ومشاركته حياته المستترة في الله.